بسم الله الرحمن الرحيم

الشـواهد الشعرية للتفسير في الكشاف في الطبقة الـرابعة للشـعراء

(دراسة نقـــد ية)

الدكتور/ غسان عبد السلام حمد ون

إن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم، وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكاتهم كلها[1]

وإذا كان الشعر العربي ديوان علوم العرب فمن هذه العلوم اعتماد شعرهم في تفسير كتاب الله تعالى لذلك رجع الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم إلى الشعر العربي في التفسير.

رجوع الصحابة والتابعين إلى الشعر العربي في التفسير:

لقد كان العربي في صدر الإسلام يعلم مفردات اللغة العربية، ولئن غاب بعضها عن أناس منهم فإن علماء الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين سرعان ما يرجعون إلى الشعر العربي لاكتشاف المعنى اللغوي للكلمة القرآنية، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعلى (أو يأخذهم على تخوف[2]) فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم ويروي قول الشاعر:

تَخَوَّف الرحلُ منها تامكاً قرداً كما تخوّف عود النبعة السَّفَنُ [3][4]

وأخرج الفارابي في كتاب الوقف والابتداء بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة) كما أخرج في كتابه من طريق عكرمة

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص(56) ط دار الشرق العربي.

(2) الآية 47 من سورة النحل.

(3) البيت لابن مقبل. في لسان العرب مادة(خوف) بلا نسبة في أمالي أبي علي القالي وقال أبو علي التامك: المرتفع من السنام. والقرد المتلبد بعرضه إلى بعض. والسفن: المبرد. انظر (2/112) وبلا نسبة أيضاً تاج العروس مادة (خوف) وجامع البيان في تأويل آي القرآن (8/149) وقال الزبيدي: (وقد روى الجوهري هذا الشعر لذي الرمة- انظر صحاح اللغة مادة(خوف) ولم أجده في ديوان ذي الرم ة بشرح الخطيب التبريزي- ورواه الزجاج والأزهري لابن مقبل، قال الصاغاني: وليس لهما ، وروى صاحب الأغاني في ترجمة حماد الراوية أنه لابن مزاحم الثمالي، ويروى لعبد الله بن العجلان النهدي وعزاه البيضاوي في تفسيره إلى أبي كبير الهذلي، ولم أجد في ديوان شعر هذيل له قصيدة على هذا الروي)- أ.هـ تاج العروس مادة (خوف).

(4) الموافقات للشاطبي(1/58)، (2/139-140)- ط دار ابن عفان.

عن ابن عباس قال: (إذا سألتم عن شيء من غريب فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب)[1].

وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال: بَيْنا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عمير: قم بنا إلى هذا الذي يجترأ على تفسير القرآن بلا علم له به فقاما إليه فقالا: إنا نريدُ أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال عزين)[2] قال: العزون: حلق الرفاق: قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول مِنْبَرِهِ عِزِيناً [3]

قال : أخبرني عن قوله (وابتغوا إليه الوسيلة)[4] قال: الوسيلة: الحاجة، قال:وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي [5]

ثم تابع سؤاله إلى أن سأله مائة وتسعين سؤالاً وفي كل مرة يعطي عبد الله بن عباس رضي الله عنه تفسير الآية على أساس الشعر العربي القديم[6]

---

(1)المزهر السيوطي (302/1).

(2) الآية 37 من سورة المعارج.

(3) البيت بنسبة لعبيد بن الأبرص في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (158/1) وفي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للألوسي(64/29)، ولم أجده في ديوانه ط دار القلم.

(4)الآية 35 من سورة المائدة.

(5)البيت لعنترة في ديوانه (ص45). في قصيدته عن فارس ومهر وامرأة يقول في أوله:

لا تذكري مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

وذكر ابن منظور في لسان العرب عدة أبيات من قصيدته هذه ومنها بيت الشاهد وقال: وهذه الأبيات قيل إنها لعنترة وقال ابن خالويه إنها لخرز بن لوذان السدوسي – لسان العرب مادة(عتق) والذي أرجحه أنها لعنترة لقول ابن عباس.

(6)انظر الأسئلة كاملة وإجاباتها في كتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (158/1-157) مع سند السيوطي بذلك.

وقد مشى التابعون رضوان الله عليهم على الطريقةفسها بالاستشهاد بالشعر العربي في تفسير القرآن فقد روي عن سفيان الثوري التابعي في قوله تعالى(وثيابك فطهر)[1] قوله: لا تلبسها على غدرٍ وإثم، البسها وأنت طاهر البدن. قال سفيان وقال الشاعر:

فإني بحمد الله لا ثوبَ غادرٍ لبستُ ولا من خزية أتقنَّعُ [2]

ويروى عن عكرمة البربري التابعي أن رجلاً سأله عن الزنيم[3]فقال: هو ولد الزنى. وتمثل ببيت الشعر:

زنيمٌ ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم [4]

وهكذا نرى أن هؤلاء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم قد اعتمدوا على الشعر العربي فيبيان معنى غريب القرآن الكريم.

وإذا كان المفسرون المشهورون قد أخذوا بشعر الطبقات الثلاث الأولى والثانية والثالثة من الشعراء في التفسير فإن الإمام الزمخشري قد أضاف إلى ذلك استشهاده أحياناً بشعر الطبقة الرابعة، وهم الشعراء المولدون.

الطبقة الرابعةالشعراء المولدون:ويقال لهم المحدثونوهم من بعد الطبقات الثلاث إلى زماننا والصحيح أنه لا يستشهد بشعر هذه الطبقة مطلقاًوقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم واختاره الزمخشري[5].

علة رفض الاحتجاج بالطبقة الرابعة من الشعراء:لا بد لنا من وقفة علمية لنرى الأساس الذي تقوم عليه فكرة الاحتجاج بالشعر في تعريف الاحتجاج أصلاً:

فالاحتجاج:هو إثبات صحة استعمالٍ أو قاعدةٍ بدليل نقلي صحيح يسند إلى عربي فصيح سليم السليقة[6].

---

(1)الآية 4 من سورة المدثر.

(2) إيضاح الوقف والابتداء للأنباري (63/1).

(3) وذلك في قوله تعالى: (عتل بعد ذلك زنيم) الآية(13) من سورة القلم.

(4)إيضاح الوقف والابتداء للأنباري (64/1).

(5)انظر خزانة الأدب للبغدادي (6/1).

(6)انظر في أصول النحو لسعيد الأفغاني (ص9).

وإذا نظرنا إلى أساس هذا الاحتجاج فإننا نرى إنما يؤخذ عن العربي الفصيح السليم السليقة، ولا تسلم السليقة إطلاقاً في بيئة متأثرة بالعجمة لأن هذه العجمة تضيع الثوابت العربية في اللغة والنحو والصرف بل وطريقة النطق بحسب التأثر بهذه العجمة.

والذي يدل على ذلك أن الذين تكلموا عن الاحتجاج بالشعر العربي احترسوا ممن تأثر بالعجمة في بيئتها المكانية فالبيئة التي ينتشر فيها كلام العجم كان لعلماء اللغة موقف منها، فهذا ابن جني يقول تحت باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أُخِذ عن أهل الوبر: (علة امتناع ذلك ما عرض لِلُغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل. ولو عُلِم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر)[1].

فالبعد عن السليقة العربية مرهون بفساد هذه السليقة، ولا يؤثر شيء على السليقة مثل البيئة، حتى أن أطراف الجزيرة العربية التي تتأثر بالأعاجم لابد أن تفسد فيها السليقة العربية بسبب الاتصال بالأعاجم يقول أبو نصر الفارابي في كتابه الألفاظ والحروف(..وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم.

فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس.....)[2].

ويبدو واضحاً أن سبب عدم الأخذ هذا يرجع إلى اختلاف البيئة للتأثر بالعجمة من الأمم المجاورة مما يفسد السليقة العربية، ويؤدي إلى ظهور لغات جديدة مغايرة للغة التي نزل القرآن بها، وهذا ما خشيه اللغويون من دخول سيول غامرة من الألفاظ الأعجمية إلى لغة القرآن مما يبعد اللغة العربية التي نزل بها

---

(1)الخصائص لابن جني (6/2).

(2)انظر الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي (ص 57/56).

القرآن عن صفاتها الأساسية، وعلى هذا الأساس فقد ذهب أبو فرج الأصبهاني إلى عدم الاحتجاج بشعر عدي بن زيد فقال:-

(وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري مجراها)[1]، وما اختلافه عن الشعراء المحتج بهم وعدم الاحتجاج بشعره في رأي ابن قتيبة إلا لأنه قد عاش مع الفرس بل كان مترجم كسرى كما ذكرنا فذهبت سليقته بسبب البيئة التي قد عاش فيها ومن ثم لا يحتج بشعره.

بل قد ذهب ابن خلدون في مقدمته إلى أن القلب النابض بأفصح اللغات هو قريش في مكة المكرمة لبعدهم عن بلاد العجم فقال: (ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم)[2]، **فالعجمة أي التأثر بلغة الأعاجم هي الأساس لرفض الاستشهاد بالشعر المتأثر من قريب أو بعيد بها.**

أما الطبقات الثلاث فإننا لا نرد الاحتجاج بشعرها وذلك لعدم تأثرهم بالعجمة في بيئة أعجمية، أما الطبقة الرابعة فقد تأثرت بالعجمة إلى حد بعيد في بيئتها الأساسية وذلك بعد (150هـ) نتيجة للاندماج التناسلي عن طريق زواج العرب من الأعجميات ، أو زواج الأعاجم من العربيات، أو التسري بالإماء عند اختلاف اللغة، وأهم من ذلك **الاندماج البيئي** الواسع بين العرب والأعاجم في ظل عدالة الإسلام التي بدت واضحة في زمن الخلافة العباسية، وكان ذلك واضحاً في مدينة السلام العاصمة بغداد التي كانت منبع الأدباء واللغويين.

فمما يقول الدكتور شوقي ضيف تحت عنوان ((الامتزاج الجنسي واللغوي والثقافي في هذا العصر))

(كانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن المحيط الهندي والسودان جنوباً إلى بلاد الترك والخزر والروم والصقالبة شمالاً،... وكان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة

---

(1) الأغاني (17/2)

(2) مقدمة ابن خلدون (ص 649)

والثقافة، غير أنه لم تكد تدخل في نطاق العروبة حتى أخذت عناصرها المختلفة تمتزج بالعنصر العربي امتزاجاً قوياً..

ومن أهم الأسباب التي هيأت لذلك نزول القبائل العربية في الأمم المفتوحة وامتزاجها بشعوبها بالسكنى وعن طريق المصاهرة وتسري الإماء بحيث غدت بيوت العرب تزخر بالجواري من كل جنس: سنديات وتبتيات وفارسيات وخراسانيات وتركيات وروميات وصقليات وبحيث أصبح العربي خالص الدم في بغداد نادراً، فالكثرة الكثيرة من أبناء العرب أمهاتهم من الجواري والإماء وكذلك الشأن في الخلفاء أنفسهم..)[1].

ترى بعد هذا الاندماج مع الأمم الأخرى ثم بعد دخولها بالإسلام، ثم هذا الاندماج التناسلي مع الأعاجم، هل يمكن أن نقول إن الأجيال العربية الجديدة لها مرفأ اللغة ما كان للعرب الأوائل في طبقاتهم الشعرية الماضية بعدما أقبلت الأمم على الدخول بالإسلام، وقدم أشراف وعلماء منها لعاصمة المسلمين بغداد التي ظهر بها آثار الأخوة والوحدة الإسلامية زمن العباسيين؟!! يقول د/ شوقي ضيف عن الأمم التي فتح ديارها الإسلام (وقد دخلت كثرتهم في الإسلام وامتزجوا بأهله من العرب ونعموا بما يُكْفَل للناس من عدل ومساواة)[2].

لقد استطاع الإسلام بعدله ومساواته وبنائه السليم للدولة الإسلامية التي حوت أمماً عديدة أن يصنع امتزاجاً حضارياً واسع النطاق على مختلف المستويات الاقتصادية والسياسية والروحية والاجتماعية والثقافية مع بقاء أصالة الإسلام واضحة خلال ذلك لأنه دين الله تعالى ودين الدولة الإسلام وبما أنه حصل تمازج حضاري وأهمه الثقافي فلا بد من دخول كلمات أعجمية وطرق كلام أعجمية. إن شئنا أو أبينا في هذه البيئة. فالعجمة لم تكن في الأطراف كما رأينا سابقاً إنما دخلت على العرب في هذه المرحلة عقر دارهم في عاصمة خلافتهم بغداد وما حولها في العراق والشام، بل إن في العراق والشام لغات قديمة امتزجت بعض كلماتها باللغة العربية إضافة إلى اللغات الأخرى، وأهمها اللغة الفارسية لقرب إيران من عاصمة الخلافة

---

(1)العصر العباسي الأول (ص 19).

(2) المرجع السابق (ص80).

العباسية بغداد يقول الدكتور شوقي ضيف عن اللغات القديمة: (وليس معنى ذلك أن جميع أصحاب اللغات القديمة هجروا لغاتهم تماماً، فقد ظلت من ذلك بقايا حتى في أكثر البيئات تعرباً أي في العراق والشام، مما نشأ عنه سقوط بعض كلمات نبطية وآرامية إلى العربية. ولعل أهم لغة قديمة ظلت حية هي الفارسية، لا بين سكان إيران فحسب، بل أيضاً بين سكان الأمصار في العراق، إذ زحفت إليها منذ عصر بني أمية مجموع كبيرة منهم، وازداد زحفهم في هذا العصر الذي علا فيه سلطانهم)[1].

إن نشوء جيل جديد في الامتزاج التناسلي والبيئي والحضاري والثقافي يجعلنا نخشى الله تعالى في أن نَعُدَّ لغة هذه الجيل بل لغة شعرائه دليلاً على تفسير القرآن الكريم، وذلك لأن العجمة أصبحت مؤثرة على اللغة العربية في عقر دارها في الدولة الإسلامية العباسية في العاصمة بغداد وغيرها.

لذلك لا بد من الرجوع إلى الطبقات الثلاثة الماضية في شعرها بثوابت اللغة العربية دون الرجوع إلى الطبقة الرابعة، ومن هنا ندرك الحكمة في اختتام الشعر بابن هرمة عند ما قال أبو عبيدة: (افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة)[2].

إن ابن هرمة توفي سنة 150هـ والدولة العباسية تأسست عام 132هـ، فبدأ نشوء جيل متأثر بالعجمة بعد سنة 150هـ فلا يعتد بشعر شعرائه في اللغة والنحو والصرف في تفسير القرآن الكريم وغيره، على أن الاحتجاج بما بعد الطبقة الثانية لم يره أبو عمرو بن العلاء وابن الأعرابي فالاحتجاج بالطبقتين الأولى والثانية[3] وهي طبقة الشعراء الجاهليين وطبقة الشعراء المخضرمين.

ولقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعَدّون محدثين عندهما وكان أبو عمرو بن العلاء يقول:" لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته"[4].

وقال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء "جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي[1].

---

(1) العصر العباسي الأول (ص 91– 92).

(2) المزهر (288/2).

(3) المزهر (488/2).

(4) الشعر والشعراء (ص5).

والحقيقة إن عصر الاحتجاج لازال مستمراً في العصر الإسلامي في الطبقة الثالثة من الشعراء وإنما الورع الشديد وشدة الخوف على معاني القرآن الكريم دفع هؤلاء إلى عدم الاحتجاج شعر العصر الإسلامي وانتهاء الاحتجاج بالشعر بانتهاء شعر المخضرمين، فالاندماج التناسلي والأخوي الإسلامي مع الأمم الأخرى بل وتمازج الحضارات لم يحصل في عاصمة الخلافة دمشق بشكل واضح مؤثر بالعجمة، وإنما حصل بعد 150هـ في عهد الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد كما رأينا.

على أننا نحترم آراء هؤلاء العلماء ونقدرهم لفضلهم على الأمة الإسلامية ولورعهم الشديد بخوفهم على العربية لغة القرآن الكريم.

ولكن من هو أول الشعراء المولدون في الطبقة الرابعة الذين لا يحتج بشعرهم؟ إنه بشار بن برد كما ذكر الإمام السيوطي[2].

مقاومة انحدار الصفاء اللغوي عند العرب والمسلمين:

عندما حصل التمازج التناسلي والأخوي والحضاري بين العرب والعجم في العراق والشام في عهد الدولة العباسية خاف علماء المسلمين على لغة القرآن أن تضيع وسط التأثر البيئي بالعجمة بُعَيْد سنة 15هـ، فانبروا للتأليف في النحو والصرف واللغة، فتأسست مدرسة النحو في البصرة ومدرسة النحو في الكوفة، وكتب سيبويه المتوفى سنة 180هـ[3] في البصرة كتابه في النحو- مستنداً إلى شعر الطبقات الثلاث الأولى فقط ولم يحتج بشعر المولدين الطبقة الرابعة اللهم إلا نفر بيت من الشعر

---

(1) المزهر (488/2).

(2)انظر الاقتراح (ص70).

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح، وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشؤه البصرة، مات سنة 180هـ بشيراز على مارواه المرزباني، أخذ الأدب والنحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر وكتابه في النحو في مجمله عن شيخه الخليل بن أحمد وكان الخليل يرحب بسيبويه في مجلسه، وكان شاباً جميلاً نظيفاً. -انظر معجم الأدباء (116/16-118)-.

لبشار بن برد الذي خاف هجاءه وقد أشار لهذا السيوطي في كتابه الاقتراح[1] ولم يثبت ذلك[2].

كما ألف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة 190هـ أو 170هـ [3]في اللغة في معجم العين.

أما مدرسة النحو بالكوفة فقد ألف فيها الكسائي المتوفى سنة 189هـ[4] كتابه في النحو.

---

(1) انظر الاقتراح للسيوطي (ص70).

(2) ومهما يكن من أمر فإن قصة استشهاد سيبويه بشعر بشار ليست ثابتة، ومن الجائز أن سيبويه كان يذكر بعض شعر بشار في مجالسه دون أن يقصد إلى الاحتجاج به والبيت الذين نسبه بعضهم لبشار بن برد في كتاب سيبويه هو:

وما كل ذي لبّ بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نُصحه بلبيبِ

وفي كتاب سيبويه نصف هذا البيت الأخير ولم يسم قائله ومن خلال متابعة هذا البيت في المصادر فإنه لم ينسب أحد هذا البيت إلى بشار بن برد، بل وجد منسوباً إلى أبي الأسود الدؤلي في شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (373/2) والمؤتلف والمختلف للامدي (ص224) والأغاني لأبي فرج الأصبهاني (305/2) وكتاب الحيوان للجاحظ (601/5) وخزانة الأدب للبغدادي(137/1) ونسبه السيوطي في شرح شواهد المغني (ص 542) إلى أبي الأسود الدؤلي أو مودود العنبري، والبيت مسطور في ديوان أبي الأسود(ص33) ونسب إلى أبي الأسود أيضاً في شرح شواهد الإيضاح للقيسي (مخطوط الورقة 196) وشرح شواهد الإيضاح لابن بري (مخطوط الورقة 100) هذا ولم يُذكر البيت في ديوان بشار بن برد– انظر كتاب شواهد الشعر في كتاب سيبويه للدكتور خالد عبد الكريم جمعة – (ص297، 298، 299).

(3) هو الخليل بن أحمد بن عمر الفراهيدي الأزدي البصري سيد الأدباء في علمه وزهده، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وروى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، وكانت الناس تأكل كثيراً بعلمه وكتبه وهو في بيت من قصب، كان يحج سنة ويغزو سنة، وكان من الزهاد المنقطعين لله تعالى، وله تصانيف كثيرة منها كتاب الإيقاع، والجمل، والشواهد، والعروض، وكتاب العين في اللغة ويقال: إنه لليث عمل منه الخليل قطعة، وهو باب العين وأكمله الليث، وله كتاب فائق العين، وكتاب النغم، والنقط والشكل وغير ذلك توفي سنة 160هـ وقيل سنة 170هـ– رحمه الله تعالى–، معجم الأدباء (45/9)، (72/11)–.

(4) هو على بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكسائي، وهو من أولاد فارس من سواد العراق، وهو لغوي نحوي مقرئ رحل إلى البصرة وأخذ اللغة عن الخليل، قال أبو بكر الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو وأوحدهم بالغريب وكان أوحد الناس

ولو أحصينا من أَلَّفَ في اللغة والنحو والصرف بُعيد150هـ لوجدنا عددهم كثيراً، كل ذلك للحفاظ على ثوابت لغة القرآن الكريم في وقتحمة العجمةعلى البيئة العربيةفي سليقتها...

موقف الزمخشريمن زمن الاحتجاج:

أما الزمخشري فقد ترك باب الاحتجاج مفتوحاً على مصراعيه بعد ما بدأ ذلك الانحدار بالعجمة في بالبيئةالعربية، فقد احتج بالطبقة الرابعة من الشعراء،فنراه يحتج بشعر أبي تمام حبيب بن أوس المتوفى سنة231هـ عند تفسير الآية(20) من سورة البقرة، ثم قال عن أبي تمام بعد احتجاجه به"وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة بروايه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"[1]

ويمكن أن يرد على الزمخشري بعدةردود كما يأتي:

1)**تأثر بيئة الطبقة الرابعة بالعجمة**:قد أوضحنا سابقاً أنه لا يحتج بشعر البيئة العربية المتأثرة بالعجمة من أهل المدر علها ذكر ابن جني في كتابه الخصائص ،[2] ولا بالبيئة المتأثرة بالعجمة في أطراف الجزيرة العربية على ما ذكرأبو نصر الفارابي في كتابه الألفاظ والحروف[3].

فكيف يحتج بشعراء الطبقة الرابعة وقد أصبحت العجمة داخلة على العرب في عقر دارهم ومجد ثقافتهم وهي العاصمة العباسية بغداوكذلك في الشام والعراق عامة، فالاندماج التناسلي والاندماج الأخوي الإسلاميوتمازج الحضارات في ظل

بالقرآن.. وهو من أهل الكوفة، واستوطن بغداد، وكان مؤدباً لولد الرشيد ثم جليسه ومؤنسه، مات بصحبته بقرية من عمل الري، وكذلك محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، فقال الرشيد دفنا الفقه والنحو بالري وذلك سنة 189هـ على الصحيح، وللكسائي تصانيف كثيرة منها كتاب معاني القرآن، وكتاب مختصر في النحو، والقراءات، والعدد، والنوادر والكبير والأوسط والأصغر وكتاب المصادر وغير ذلك- انظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (2112/535/1) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي(1203/13)

(1) الكشاف (220/1-211).

(2) انظر الخصائص لابن جني (6/2).

(3) انظر الاقتراح للسيوطي (ص 57/56).

الإسلام كل ذلك كان سبباً في دخول العجمة على البيئة العربية كما أوضحناه، فالعلة هو تأثر البيئة بالعجمة في ترك الاحتجاج كما رأينا عند الأوائل وكذلك نقول العلة في ترك الاحتجاج بشعر ما بعد 150هـ هو تأثر البيئة بالعجمة فلعل الإمام الزمخشري قد غفل عن أن من أحسن الرواية وعلم العربية يتأثر ببيئته التي دخلتها العجمة فإذا كان ت أطراف الجزيرة لا يحتج بشعرائها لتأثرهم بالعجمة فالأولى ألا يحتج بشعر بيئة دخلتها العجمة في أهم أمر وهو تبيان مراد الله تعالى في تفسير القرآن الكريم ففي هذا مفسدة كبيرة- والله تعالى أعلم-.

2) **سد الذرائع يقتضي ألا يحتج بشعر الطبقة الرابعة** وهنالك مفسدة أكبر في ترك باب الاحتجاج مفتوحاً الشعر العربي الناشئ فيما بعد 150هـ ألا وهي الدس على العربية ما ليس منها في اللغة من ضل وزاغ ليكون ذلك باباً لدعم الفرق الضالّة التي نشأت في داخل جسم الدولة الإسلامية وذلك بشعر جديد ومعان لكلمات جديدة لم يقل بها الأقدمون في الطبقات الثلاث في شعرهم وهذه مفسدة وأيّ مفسدة تفتح الباب لينصر كل مذهبه ولو كان ضالاً!

منعاً للمفسدة في البند السابق وهذا البند لابد لنا من سد الذريعة في هذا الأمر.

وإذا كان تعريف الذريعة الممنوعة هو: (ما يتوصل به إلى الشيء الممنوع المشتمل على مفسدة)[1]. مفسدة أكبر من ترك مجال الشعر مفتوحاً للاحتجاج به فيما بعد 150هـ ليقول كل مفسر صاحب هوى أو متأثر بالعجمة هذا مراد الله في تفسير كتابه سبحانه وتعالى، والمطلوب شرعاً هو سد الذرائع لما يأتي:

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم)- الآية (104) من سورة البقرة – فإن كلمة راعنا لم يقصد بها الصحابة سباً، وقصد بها اليهود سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك نهي المسلمون عن استعمال هذه الكلمة، فاستنبط الإمام القرطبي رحمه الله تعالى من هذه الآية التمسك بسد الذرائع[2] واستدل بقول الله تعالى أيضاً (ولا تسبّوا الذين يدعون من

---

(1) انظر الموافقات في أصول الفقه للشاطبي- ط المكتبة التجارية- مصر- ص(198/4).

(2) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (57/2).

دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)[1] وبقوله تعالى مخاطباً آدم وحواء وهما في الجنة (ولا تقربا هذه الشجرة)[2] وأتى بأدلة أخرى رحمه الله تعالى من الكتاب والسنة.

وإذا كان المطلوب شرعاً سد باب الذرائع فأي مفسدة أكبر من ترك القرآن الكريم يفسر بكل شعر لعالم بالعربية أحسن الرواية، وقد تأثر ببيئته بالعجمة أو تأثر بأهواء الفرقة التي تأسست بعد الصحابة والتابعين، وهكذا تعصف بمعاني القرآن الكريم الأهواء، علماً أن الله تعالى أنزل كتابه على لغة العرب الذي لم يتأثروا بالعجمة ولا بالأهواء المضللة. فليس الأمر مقتصراً على الإمام الزمخشري بل الأمر المهم هو طريقة تفسير كتاب الله تعالى بشكل منهجي لكل مفسر لكتاب الله تعالى.

3) رد دليل احتجاجه بشعر أبي تمام: وأما قول الزمخشري محتجاً بشعر أبي تمام: ((وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة يقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه))[3] أي لإتقان الرواية

إن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية فالشاعر عند ذلك ليس بعيداً عن العجمة في بيئته التي هي العلة الأساسية في نفي الاحتجاج بشعره. إن قول الزمخشري فيه خلط للأمور، فقد اعترف بأنه لا يستشهد بشعر أبي تمام لأنه شاعر محدث أي مولد أساساً، وبنفس الوقت أراد أن يقول هو يعطي علمه بالعربية في شعره كما يعطي ما يرويه عن الشعراء الذين يحتج بشعرهم وهل هذا يخلصه من عجمة بيئته بحيث يكون شعره كشعر أصحاب الحماسة وبنفس المستوى العلمي الصافي، فإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية بدأً فكونه عدلاً فيما ينقل من شعر يحتج به لا يلزم قبول شعر ه بالاحتجاج ولو كان عالماً بالعربية بحال من الأحوال.

يقول السيد الشريف الجرجاني معلقاً على كلام الزمخشري في حاشيته على تفسير الكشاف: "واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق واعتبار القول والاستشهاد به مبني على معرفة الأوضاع اللغوية والإحاطة بقوانينها **ومن البين أن**

---

(1) الآية 108 من سورة الأنعام.

(2) الآية 35 من سورة البقرة.

(3) الكشاف (1/220-221)

إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية، فلا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه من الحماسة من أشعار من يستشهد بأقوالهم أن يكون جميع ما في شعره مسموعاً منهم أو مستنبطاً من القوانين المأخوذة من استعمالاتهمأجيب بأنه صرح أولاً بكونه من علماء العربية، ثم أشار إلى أنه ثقة باقتناع العلماء في الاستدلال بالأبيات بثبوتها في الحماسة، فإنه يدل على وثوقهم بروايته،كأنه أراد دفع أن يقال كونه من علماء العربية ليس كافياً في جعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، بل لابد من اجتماع العلم مع العدالة**نعم إن كان مقصوده بتنوير الاستدلال0على علمه بالعربية وإتقانه فيها وكونه ثقة فيما يستعمله كان الاعتراض وارداً قطعاً**[1].

أي كان الاعتراض على الزمخشري وارداً قطعاً.

إننا نجد على مدى التاريخ الإسلامي شعراء أحسنوا الرواية لدواوين جمعوها أو كتب أدب نقلوها...ولا نجد صعوبة في الإشارة إلى أدباء شعراء أحسنوا الرواية في عصرنا فهل نترك لشعرهم تفسير القرآن ونقول إن بيئة هؤلاء الشعراء جميعاً بقيت بعيدة عن الأهواء العجمة وهذا فيما بعد سنة 150هـ.

على أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يسوّ في حديثه بين الرواية والدراية هذا نستنبطه من حديث زيد بن ثابت فقد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (نضَّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)

رواه الترمذي وقال حديث زيد بن ثابت حديث حسن[2] ورواه ابن ماجه[3]، فربما كان حامل الحديث لا يستوعبه كما يستوعب ويستنبط منه من سمعه وراوي الحديث

([1]) حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف (221/1).

(2) قال الترمذي وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وأنس- رضوان الله عليهم- سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (347/7/ رقم2794)، أما ابن مسعود فقد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلَّغ أوعى من سامع). وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح- سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (2795/347/7)،

(3) سنن ابن ماجه في حديث أطول (3056/1015/2).

السابق، وينطبق هذا على علم العربية المستنبط من الشعر الذي يحتج به فليس كل من رواه يحتج بشعره على أساس أن من أتقن الرواية أتقن الدراية.

4) **احتجاجه بشعراء ليس لديهم رواية للشعر عن من يحتج بشعرهم في تفسيره:** الزمخشري يستشهد للتفسير بشعر أبي تمام حبيب بن أوس المتوفى سنة 231هـ = 846م، وحجته أنه شاعر أحسن الرواية ويلزم من ذلك في رأيه أنه أحسن الدراية، وذلك هناك شعراء احتج الزمخشري بشعرهم وليس لهم رواية للشعر في أي كتاب، فلقد روى أبو تمام عدة كتب وهي: فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ونقائض جرير والأخطل، وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء[1].

لكنّ شعراء آخرين احتج بشعرهم بالتفسير ولم يرو شيئاً من الشعر في مؤلفات مخصوصة اللهم إلا أشعارهم المذكورة في دواوينهم عن أنفسهم لا عن غيرهم ومنهم أبو نواس الحسن بن هانئ المتوفى سنة 196هـ=812م، فليس له إلا ديوانه في الشعر[2] فقد استشهد بشعره في تفسير الآية رقم (96) من سورة الأنعام[3].

وكذلك استشهد بشعر أبي العتاهية المتوفى سنة 211هـ=826م، وليس له إلا ديوانه في الشعر[4] فقد استشهد الزمخشري بشعره في تفسير الآية رقم (9) من سورة الجاثية.

وكذلك استشهد بشعر المتنبي المتوفى سنة 354هـ=965م، وليس له إلا ديوانه[5] فقد استشهد الزمخشري بشعره في تفسير الآية (18) من سورة النمل[6].

وكذلك استشهد الزمخشري بشعر أبي فراس الحمداني وليس له إلا ديوانه[7] وذلك[7] وذلك عند تفسير الآية (6) من سورة النساء[8].

---

(1) انظر ترجمته في (ص 27–29) من هذا البحث.

(2) انظر ترجمته في (ص 21–23) من هذا البحث.

(3) انظر (ص 23) من هذا البحث.

(4) انظر ترجمته في (ص24–26) من هذا البحث.

(5) انظر (ص31–33) من هذا البحث.

(6) انظر (ص 33) من هذا البحث.

(7)انظر (ص33–35) من هذا البحث.

(8)انظر (ص62) من هذا البحث.

إن قول الزمخشري عن أبي تمام واحتجاجه بشعره في تفسير القرآن الكريم لا يندرج على هؤلاء الشعراء الذين ليس لهم إلا دواوينهم الشعرية فقط، ولم يرووا حماسة ولا كتاباً شعرياً عن من يحتج بشعرهم، لقد قال عن أبي تمام كما رأيناه وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة[1]، فإذا كان لأبي تمام حماسته التي جمعها فماذا عن هؤلاء المحدثين المولدين الذين ليس لهم ما يروونه عن من يحتج بشعرهم، هذا بالإضافة إلى أن العجمة قد أثرت على بيئتهم

5- الزمخشري خالف الإجماع:

ذهب بعض أهل اللغة إلى أنه لا يحتج إلا بشعر طبقة الشعراء الجاهليين وطبقة الشعراء المخضرمين، وذكرنا منهم أبا عمرو بن العلاء وابن الأعرابي سابقاً[2]، وكذلك وكذلك منهم عبد الله بن أبي إسحاق والحسن البصري وابن شبرمة[3] ولقد ذهب عبد القادر البغدادي إلى أن الصحيح أنه يستشهد بشعر الطبقة الثالثة[4].

على أن الزمخشري قد خالف كل هؤلاء ممن سبقه واحتج بشعر الطبقة الرابعة من الشعراء المحدثين[5].

وقد صرح جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى بأن الزمخشري خالف الإجماع فقال: (أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية، وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس)[6].

---

(1) الكشاف (220/1، 221).

(2)انظر (ص7-8) من هذا البحث.

(3) انظر خزانة الأدب (6/1).

(4) انظر خزانة الأدب. (6/1).

(5) انظر خزانة الأدب. (6/1) مع زيادة و تصرف.

(6) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي (ص70).

وبهذا يكون الزمخشري أول من خرق إجماع معاصريه ومن سبق من أهل اللغة والعلم بالاحتجاج بالطبقة الرابعة.

وما دام قد انعقد الإجماع على ذلك فإن الإجماع لا ينسخ[1]. وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على انحراف عن الحق فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله لا يجمع أمتي- أو قال أمة محمد- على ضلالة ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار[2]).

(يد الله على الجماعة) أراد بيد الله: سكينته وأمْره ورحمته، أي: إن الجماعة بعيدة من الأذى والخوف واضطراب الحال، ومثله قوله (يد الله على الفُسطاط) يعني المصر، فإن الأذى مع الفرقة، والفساد مع الاختلاف، والخوف مع الانفراد[3].

لقد كان الأقوم للزمخشري أن لا يخالف الإجماع في تفسير كتاب الله تعالى باستشهاده بالطبقة الرابعة من الشعراء المحدثين والمولد

6- الورع والتقوى يقتضيان أن لا يحتج بالطبقة الرابعة من الشعراء

لقد كان الصحابة والتابعون واللغويون يتهيبون تفسير كتاب الله تعالى فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيما يرويه عنه أبو معمر: "أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"[4].

---

(1) انظر روضة الناظر(229/1) ومرآة الأصول (181/2) والمدخل إلى مذهب أحمد (ص 10) وأصول الفقه الإسلامي للزحيلي(538/1).

(2)سنن الترمذي في تحفة الأحوذي(2255/322/6) وللحديث شواهد- انظر تحفة الأحوذي(322/6)، قال د/ وهبة الزحيلي: وهو حديث حسن- أصول الفقه لوهبة الزحيلي (453/1) ومما قال عبد القادر أرناؤوط في تعليقه(فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره)- انظر تعليقه على جامع الأصول (196/9، 6761).

(3) شرح ابن الأثير الجزري لهذا الحديث في جامع الأصول (196/9).

(4) تفسير ابن كثير المقدمة(6/1).

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول عنه ابن أبي مليكة "سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها[1].

وعن الشعبي قال:"والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عز وجل"[2].

وعن الشعبي عن مسروق قال: "اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله"[3].

هذا عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

أما أهل اللغة فقد كان الأصمعي على جلالة قدره في اللغة: لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن[4].

وقال ابن دريد في الجمهرة:

الذي سمعت: أن معنى الخليل الذي أصفى مودة وأصحها. ولا أزيد فيها شيئاً، قال: لأنها في القرآن، يعني قوله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"[5].

إن الورع هو: اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات[6].

وهكذا كانوا يجتنبون الشبهات في تفسير الله تعالى خوفاً من الوقوع بالخطأ في تفسير كتاب الله تعالى، ومن الشبهة على أقل تقدير أن يفسر القرآن بشعر الطبقة الرابعة.

وقد روى البخاري في تاريخه [7] والترمذي وحسنه[8] وابن ماجه [1]وابن أبي أبي حاتم[2] عن عطية السعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس".

---

(1) أسناده صحيح، انظر مقدمة تفسير ابن كثير (6/1).

(2) أثر صحيح انظر تفسير ابن كثير المقدمة(7/1).

(3) أثر صحيح انظر تفسير ابن كثير المقدمة(7/1).

(4)انظر الكامل للمبرد(927/2-928).

(5) المزهر للسيوطي (327/2) والآية رقم 125 من سورة النساء.

(6) التعريفات للجرجاني (ص224).

(7) التاريخ الكبير للبخاري (489/158/5).

(8) رواه الترمذي وقل حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه- سنن الترمذي في تحفة الأحوذي(2568/124/7).

إذا كان الإمام الزمخشري يعرف المتقي في الشريعة بقوله: الذي يقي نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك [3]. فإن الإمام الشوكاني يقول راداً على الزمخشري بهذا الحديث السابق قائلاً: فالمصير إلى ما أفاده الحديث واجب ويكون هذا معنى شرعياً للمتقي أخص من المعنى الذي قدمنا عن صاحب الكشاف[4].

إن التقوى لله تعالى تتطلب منا أن لا نستشهد في تفسير القرآن الكريم بالطبقة الرابعة حتى لا نقع بما به بأس وحتى نسير على طريق المتقين الماضين من الصحابة والتابعين واللغويين.

كما أن التقوى في التفسير لكتاب الله تعالى أيضاً تتطلب منا ألا نخرق الإجماع في عدم الاحتجاج بالطبقة الرابعة وتتطلب سداً للذرائع كما مرّ.

وإذا كان الاحتجاج فيما بعد150هـ يحتمل أن يتأثر بالعجمة في الشعر، وقد يؤدي إلى مالا يُحمد عقباه أيضاً في ترك تفسير القرآن للأهواء فمن الريب على أقل تقدير الاحتجاج بالطبقة الرابعة من الشعراء والمطلوب شرعاً منا ترك ما يريبنا إلى مالا يريبنا وذلك يتطلب تمسكنا بشعر شعراء الطبقات الثلاث الأولى فحسب.

فعن الحسن بن علي- رضي الله عنهما- في حديث قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك إلى مالا يريبك) رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح[5]. والنسائي[6]، فمن الطمأنينة وعدم الريب على أقل تقدير ألا يحتج بالطبقة الرابعة من الشعراء خوفاً من الوقوع بالعجمة تأثراً بالبيئة وسداً للذرائع وموافقة للإجماع والورع والتقوى في تفسير كتاب الله تعالى سواء في اللغة أو النحو أو الصرف.

---

(1) سننه (4215/1409/2).

(2) في تفسيره (60/32/1).

(3) الكشاف (119/1).

(4) انظر فتح القدير (33/1، 34).

(5) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي(2637/187-186/7).

(6) سنن النسائي (328-327/8).

في البيان والبديع يستشهد بشعر المولدين:

قبل أن نذكر الشعراء الذين لا يحتج بشعرهم في تفسير الكشاف لابد أن نبين أن المقصود بالاحتجاج هو الاحتجاج في اللغة والنحو والصرف في تفسير القرآن الكريم.

أما في البيان والبديع فإنه يستشهد بشعر المولدين لأن الأمر في ذلك راجع إلى العقل ولذلك قُبِل في هذا شعر الشعراء المولدين[1].

وهذان مثالان في ذلك:

1 -استشهد الزمخشري لأبي نواس الذي توفي سنة 199هـ عند قوله تعالى:(ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا" الآية (19) من سورة الإنسان- إذ يقول الزمخشري:

"شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور. وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب، قد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ، فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط، فاستحسن المنظر، وقال: لله در أبي نوّاس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن كبرى وصغرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهبِ

وقيل شُبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء"[2]

2 -استشهد الزمخشري لأبي تمام الذي توفي سنة 234هـ عند قوله تعالى:" إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها" الآية (26) من سورة البقرة.

إذ يقول الزمخشري: "فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل [3]

---

(1) انظر خزانة الأدب للبغدادي (5/1).

(2) الكشاف للزمخشري(199/4).

(3) الكشاف (263/1).

تراجم الشعراء الذين لا يحتج بشعرهم وأمثلة على ذلك

1- أبو نواس:

هو أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الله بن الصباح ويقال له أبو نواس البصري وأبو نواس الحَكَمي، كان جدّه مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان، ونسبته إليه. كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد آخر حكام بني أمية[1].

صار أبوه إلى الأهواز وتزوج بها امرأة يقال لها خلبان، فولدت له أبا نواس، ثم صار أبو نواس إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وكتب عنه الغريب والألفاظ ، وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أيام الناس وقرأ كتاب سيبويه وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي وانتقل إلى بغداد فسكنها إلى حين وفاته[2].

وقد كان أبو نواس شاعراً مبرزاً بين الشعراء المحدثين قال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس للمتقدمين[3]. واعتبره الأصمعي أشعر أهل زمانه[4]. وأثنى عليه الجاحظ والنَّظّام. وقد روى عن كثير من الشعراء والشاعرات، قبل أن ينطلق بالشعر، يقول أبو نواس: ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهن خنساء وليلى، فما الظن بالرجال؟ وقد كان يضع في شعره أقذاراً في الخمر والمردان وقد كان يميل إليهم[5]. حتى قال ابن قتيبة عنه:

سبق إلى معانٍ في الخمر لم يأت بها غيره[6]. وله تشبب شنيع في المردان ويطلب منهم معصية جبار السماوات[7].

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير (227/10) ووفيات الأعيان (170/95/2).

(2)البداية والنهاية لابن كثير (227/10) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي(4017/436/7).

(3) تاريخ بغداد (437/7).

(4) الأغاني (16/18).

(5)البداية والنهاية (228/10).

(6) الشعراء والشعراء (ص511).

(7) الشعر والشعراء (ص51-511)

ولقد اتُهِمَ أبو نواس بالزندقة فنفى ذلك عن نفسه فحدث أنه دخل على أمير المؤمنين الأمين- الخليفة العباسي- فقال له: يا حسن بن هانئ! قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: إنك زنديق!! فقلت يا أمير المؤمنين وأنا أقول مثل هذا الشعر!:

أصلي صلاة الخمس في حين وقتها وأشهد بالتوحيد لله خاضعا
وأحسن غسلاً إن ركبت جنابة وإن جاءني المسكين لم أك مانعا
وإني وإن حانت من الكأس دعوة إلى بيعة الساقي أجبت مسارعا
وأشربها ص رفاً على لحم ماعزٍ وجَدْي كثير اللحم أصبح راضعا (1)

فقد نفى أن يكون زنديقاً ولكنه يشرب الخمر كما أفصح عن نفسه، لذلك قال فيه ابن كثير: وبالجملة فقد ذكروا له أموراً كثيرة ومجوناً وأشعاراً منكرة، وله في الخمريات والقاذورات والتشبب بالمردان والنسوان أشياء بشعة شنيعة، فمن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة، ومنهم من يرميه بالزندقة، ومنهم من يقول: كان يخرب على نفسه، والأول أظهر، لما في أشعاره. أما الزندقة فبعيدة عنه، ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة(2).

ونرجح أنه صلح حاله في آخر حياته عندما شاب رأسه إذ يقول:

أية نار قدح القادح وأي جِد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ وناصح لو خطئ الناصح
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنه ج الحق له واضح
فاسم بعينيك إلى نسوة مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي الحوراء في خدرها إلا امرؤ ميزانه راجح (3)

وبعد موته وجد أحد أصحابه في بيته رقعة تحت وسادة مكتوب فيها:

---

(1) انظر تاريخ بغداد (440/7).

(2)البداية والنهاية (231/10).

(3)الأبيات في ديوانه (ص618) من قصيدة تحت عنوان : المتجر الرابح ويقول فيها بعد ذلك:

من اتقى الله فـــذلك الـــذي سيق إليه المتجرُ الرابحُ
شَمّر فما في الدين أغلوطة ورُحْ لما أنت له رائحُ

وانظر الأبيات له في البداية والنهاية (231/10).

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أني مسلم [1]

وقد جمع شعره جماعة فلك يوجد ديوانه مختلفاً[2].

ولم نَرَ له كتاباً قد جمع فيه مرويات آخرين ممن يحتج بهم كما اشترط الزمخشري عند استشهاده بشعر أبي تمام بل له شعره فقط.

مات أبو نواس سنة 199هـ وعمره (52) سنة[3] أي أنه بلغ نهاية الاحتجاج سنة 150هـ وهو دون سن التيز ومات بعد سنة الاحتجاج هي 150هـ، فلا يحتج بشعره.

ومثال استشهاد الزمخشري بشعر أبي نواس هوعند تفسير(فالق الإصباح)الآية (96) من سورة الأنعام استشهد بقول أبي نواس:

تردت به ثم انفرى عن أديمها سَوادُ ليل عن بياض نهار [4][5]

---

(1) انظر ديوانه (ص618) وتاريخ بغداد (449/7).

(2) وفيات الأعيان (96/2).

(3) الشعر والشعراء (ص511).

(4) البيت لأبي نواس في ديوانه (ص 435) لكن في ديوانه برواية ((أديمه)) ويقول قبله هذا البيت في وصف الخمر:

كأن بقايا ما عظا من حبابها تفاريق شيبٍ في سواد عذارِ

قال المحقق:

انفرت:انشقت: يصف في هذا البيت والذي قبله بقايا الحباب العالقة بالكأس بعد شرب ما فيها من الخمر، فهو يشبه الحباب بالشيب المتفرق خلال سواد العذارِ ثم عاد فشبهه بالنهار والخمر بالليل.

(5) الكشاف (38/2).

2 أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي – لموالاته بني عنزه– ولد بعين التمر، وهي بليدة قرب الأنبار[1].

وقد عرف بأبي العتاهية[2] وكان جده كيسان من عين التمر التي فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه، وسأل أبو بكر رضي الله عنه كيسان عن نسبه فذكر له أنه من عنزة، فلما سمعه عبادمن بني عنيزةيقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان أسيراً وقد كان خالصاً له فوهبه له وأعتقه فتولى عنزة[3]. ومنشؤه بالكوفة وكان يبيعفيها الفخار ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم وكان غزير البحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الاتقان قليل التكلف[4].

وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء قديماًثم تنسك وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقه الوعظ، فأحسن القول فيه، وجود وأبرعلى كل من ذهب ذلك المذهب، وأكثر شعره حِكَم وأمثال، وكان سهل القول، قريب المأخذ، بعيداً عن التكلف، متقدماً في الطبع[5].

مدح الخليفة العباسي المهدي[6] ومدح الرشيد [7] ولأبي العتاهية أوزان في شعره شعره لا تدخل في العروض [8] وذلك لسهولة شعره وسرعته

---

(1) وفيات الأعيان (219/1).

(2) قال ابن الجني: العتاهية من التعته وهي التحسن والتزين قال رؤية:

بعد لحاج ما يكاد ينتهي عن التصابي وعن التعته

وقال أيضاً: في عتهيّ اللبس والتقين، وكان العتاهية مصدر كالكراهية وأجازوا فيه العتاهة كالكراهة – المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (ص76)–.

(3) انظر الأغاني (123/3).

(4) الأغاني (122/3).

(5) تاريخ بغداد (250/6).

(6) وفيات الأعيان(221/1).

(7) تاريخ الرسل والملوك للطبري(309/8).

(8)الأغاني (127/3).

فيه[1]، اشتهر بحبه لعتبة جارية بنت أبي العباس السفاح وقد شبب[2]بهاقبل زهده.
ومن روائع شعره في الزهد قصيدة أرسل بها من سجنه إلى هارون الرشيد ومما قال فيها:

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموحُ
لدواعي الخير والشرِّ دن وٌّ ونزوح
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح
أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح
فإذا المستور منا بين ثوبيه فضوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لست بال ب اقي ولو عُمّرْتَ ما عمّر نوح

وبكى عندها الرشيدوانتحب[3]

وكان قوم من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد[4]. فرمي بالزندقة[5]، وقيل عنه إنه كان مذبذباً في مذهبه يعتقد شيئاً فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره[6].

لكن الرشيد قال له: الناس يزعمون أنك زنديق.؟ فقال أبو العتاهية: يا سيدي كيف أكون زنديقاً وأنا القائل:

أيا عجباً كيف يُعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده جاحدٌ
ولله في كل تحريكه وفي كل تسكين ة شاهدُ
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد [7]

(1)الشعر والشعراء (ص497).
(2)الشعر والشعراء (498).
(3)انظر الأغاني (171/3) والأبيات في ديوانه (ص59).
(4) الأغاني (123/3) .
(5) انظر الشعر والشعراء (ص497).
(6) انظر الأغاني (124/3).
(7) الأبيات في ديوانه (ص 62) وانظر تاريخ بغداد (253/6).

توفي سنة (211)هـ[1] وبهذا لا يحتج بشعره.

وليس له مؤلفات رواها ع من يحتج بشعره كما ذكر الزمخشريفي احتجاجه بشعر أبي تمام[2]. إنما لهشعره المجموعفي ديوانه المشهور ، ومع ذلك فإن الزمخشري احتج بشعر أبي العتاهية في التفسير. ففي تفسيره الآية (9) من سورة الجاثية عند قوله تعالى:(وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً) احتج الزمخشري بقول أبي العتاهية:

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها [3][4]

---

(1) وفيات الأعيان (222/1).

(2) انظر الكشاف (220/1– 221) .

(3) الكشاف (510/3).

(4) قال المبرد في الكامل: (خبرت أن أبا العتاهية قد استأذن في أن يطلق له أن يُهْدِي إلى أمير المؤمنين المهدي في النيروز والمهرجان، فأهدى في أحدهما برنية ضخمة، فيها ثوب ناعم مطيب، قد كتب في حواشيه:

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها

إني لا يأ س منها ثم يطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة إليه فجزعت...)

الكامل للمبرد (869/2– 870) والبيت أيضاً في تكمله ديوان أبي العتاهية – انظر ديوان أبي العتاهية تحقيق الدكتور شكري فيصل (ص668)–.

3- أبو تمام:

هو حبيب بن أوس أبو تمام الطائي الشاعرشامي الأصل ولد في قرية جاسم بالقرب من بحيرة طبرية عام(190)هـ[1] وكان من نفس طيء صليبة[2]، وكان بدمشق يعمل عندحائك، ثم سار إلى مصر في شبيبته[3]، وكان في مصر في حداثته يسقى الماء في المسجد الجامعثم جلس الأدباء فأخذ عنهم، وتعلم منهم، وكان يعتبر أن الرحلة عن الأوطان تجدد للإنسان فيقول:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدَّدِ

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ[4]

قدم إلى بغداد فجالس بها الأدباء، وعاشر العلماء، وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس، وكان ظناناً فهماً، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد، وشاع ذكره، وسار شعره، وبلغ المعتصم خبره، فحمله إليه وهو(ابن من رأى) فعمل أبو تمام فيه قصائد عدة، وأجازه المعتصم، وقدمه على شعراء وقته[5].وكان رجلاً وفياًمحباً لمن خالط في الأوطان التي وصلها ومن علامات وفائه قوله:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقتين[6] وبالفسطاط[7]إخواني

إخواني[7]

وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه بي أقصى خراسان[1].

خراسان[1].

---

(1) انظر وفيات الأعيان (11/2، 17) .

(2) الأغاني (96/15).

(3) انظر البداية والنهائية (299/10) .

(4) البيتان في ديوانه(23/2) ط دار المعارف ، و (ص294) ط مكتبة صبيح.

(5) تاريخ بغداد (248/8) .

(6) والرقتان هما، الموضوع المعروف (والرقة) أرض يركبها الماء ثم يزول عنها.

(7) الفسطاط: يكنون به اليوم عن مصر، ويقال إنه في صدر الإسلام أيام فتحت مصر ضربت الخيام في ذلك الموضع، والخيمة العظيمة يقال لها فسطاط، فسُمّي الموضع ذلك – انظر ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام (309/3).

وأبو تمام شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب مرماه، ويعسر تناوله على غيره. لكنه اعترف لأحد الممتحنين المعترضين على بيت له فقال: ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلوا في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل لم يبغض الظق، وإن هوى بقاء المتقدم لم يهوَ موت المتأخر.[2] وقد اعترف له كثير من الفضلاء أنه أشعر أهل زمانه بلا منازل[3]، مدح المأمون وانتصارات جيشه البهية بقوله:

مستر سلين إلى الحتوف كأنما بين الحتوف وبينهم أرحامُ [4]

وكان المنجمون نصحوا المعتصم ألا يخرج لقتال الروم ليخلص المرأة الهاشمية الأسيرة التي نادت وا معتصماه، فلما فتح الله على يده وخرب عمورية مسقط رأس ملك الروم في شهر رمضان سنة 223هـ ورجع سالماً قال أبو تمام قصيدته العصماء التي منها:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الح دّ بين الجد واللعبِ
والعلم في شهب الأرماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب [5]

ويقول في عمورية الخربة:

وما ربع مية معمو راً يطيف به غيلان أبهى رُبىً من ربعها ال خ رب
ولا الخدود وقد أدمين من خجلٍ أشهى إلى ناظري من خدها التّرب
خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم تره ـا تنال إلا على ج س ر من التعب [6]

---

(1)البيتان في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي(309/3).

(2) الشعر والشعراء (ص511).

(3) تاريخ بغداد (248/8) .

(4)هذا البيت من قصيدة يمدح بها الخليفة العباسي المأمون – انظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي(156/3)

(5) البيتان في شرح ديوان أبي تمام لمحمد محيي الدين عبد الحميد (ص15–16).

(6) الأبيات في شرح ديوان أبي تمام لمحمد محيي الدين عبد الحميد (ص21 ،28).

ويضيف أبو تمام إلى شعره مروياته لكتاب (الحماسة) و(فحول الشعراء) وله (الاختيارات من شعر الشعراء) بالإضافة إلى حفظه للكثير من الأراجيز والقصائد والمقاطيع.

ولأهمية حماسة أبي تمام فقد كانت لها شروح كثيرة[1] لكن أهمها (تجلى غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة) للأعلم الشنتمري[2]، والمشاهد أن الزمخشري أعجب واندهش ببلاغة شعر أبي تمام ومروياته وهو عالم بالبلاغة لا يشق له غبار، فاستشهد بشعره ثم اعتبر ذلك بناء على علم أبي تمام بالعربية ممن تعلم عليهم في مصر وبغداد فلحتج بشعره في تفسير الكشاف دون أن يلتزم بالإجماع بأنه لا يستشهد بشعر ائها بعد (150)هـ كما نقلنا، ولم يطلب سد الذريعة بالتفسير على الفرق الضالة وتأثر بيئة أبي تمام بالعجمة التي وصلت إلى بغداد وغيرها من حواضر الإسلام بسبب الاندماج التناسلي والاندماج الأخوي الإسلامي مع العجم.

وقال بعضهم إن الخليفة المعتصم أعطاه الموصل لما مدحه بقصيدة فأقام بها أربعين يوماً ثم مات، قال الحافظ المؤرخ ابن كثير: وليس هذا بصحيح ولا أصل له وإن كان قد لهج به بعض الناس كالزمخشري وغيره[3]. وهذا لا يعارض أنه مات بالموصل في سنة/231/هـ رحمه الله تعالى[4].

---

(1) انظر مقدمة شرح الحماسة للأعلم الشمنتمري للمحقق د/ علي المفضل حمّودان.

(2) وقد طبع هذا الشرح مع تحقيقه دار الفكر المعاصر بيروت مع دار الفكر بدمشق- 1413هـ-1992م.

(3) انظر البداية والنهاية (300/10).

(4) انظر وفيات الأعيان (17/2).

والأمثلة: على استشهاد الزمخشري بشعر أبي تمام هي كما يأتي:

أ –عند تفسير قوله تعالى: (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)الآية (20) من سورة البقرة- استشهد بقول أبي تمام:

هما [1]أظلما حالي نثت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب [2][3]

(1)أي العقل والدهر كما يفهم من البيت السابق:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي أم اشتقت تأديبي فدهري مؤدبي

(2)البيت لأبي تمام انظر شرح ديوان أبي تمام لمحمد محي الدين عبد الحميد (ص59) من قصيدة يمدح فيها عياش بن لهيعة الحضرمي.

(3)تفسير الكشاف(220/1).

4- المتنبي

هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب، وكان أبوه يسقى الماء لأهل الكوفة على بعير له وكان شيخاً كبيراً[1].وهو جعفي وكانت جدته همدانية صحيحة النسب من صالحات النساء في الكوفة[2].

ولد المتنبي في الكوفة سنة 306/هـ، ونشأ بالشام وأكثرَ المقام بالبادية، وطلب الأدب، وعلم العربية، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حداثتهولزم أهل العلم والأدب وأكثر ملازمة الوراقين[3].

واشتغل المتنبي بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين عليها[4]. وللمتنبي ديوان شعر مشهور، فيه أشعار ليست بمسبوقة، بل مبتكرة شائقة، وهو في الشعراء المحدثين كامرئ القيس في المتقدمين[5]. ومن محاسن شعر المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ [6]

وله:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام [7]

ومن مدائحه لأحدهم:

يامن ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره [8]

---

(1)البداية والنهاية (256/11).

(2) تاريخ بغداد (103/4).

(3) تاريخ بغداد(103/4، 104).

(4) وفيات الأعيان (120/1).

(5) البداية والنهاية (257/11).

(6) ديوان المتنبي(ص198).

(7) البيت في ديوانه من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني- انظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، شرح الشيخ ناصيف اليازجي تقديم الدكتور ياسين الأيوبي(3/2، 10).

(8)ديوان المتنبي (ص43).

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ينكر على المتنبي هذا المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى[1].

وقد ادعى المتنبي حين كان مع بني كلب بأرض السماوة قريباً من حمص أنه علوي- أي ينتسب إلى علي كرم الله وجهه- ثم ادعى أنه نبي يوحى إليه، ف اتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن، ثم خرج إليه نائب حمص من جهة بني أخشيد فقاتله وأسره مذموماً مدحوراً، وسجن دهراً طويلاً ثم مرض مرضاً شديداً، فاستتابه نائب حمص، وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة، وأنه تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام، فأطلق سراحه، وكان إذا ذُكّر بذلك جحده أو اعتذر منه[2].وقيل غير ذلك عنه وهذا أصح[3].

وقد مدح المتنبي سيف الدولة بن حمدان في بلاد الشام، وكافور الإخشيدي بمصر، وبعض أهل بغداد، وابن العميد في الكوفة، وضد الدولة في فارس فأعطاه عطاء واسعاً ثم حرض ابن فلك الأسدي على قتله وأخذ أمواله وجاء بستين راكباً فقاتله فقتل ابنه محسن، وبعض غلمانه وأراد أن ينهزم فقال له مولى له: أين تذهب وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم [4]

فقال له: ويحك قتلتني، ثم كر راجعاً، فطعنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله، وأخذوا جميع ما عنده، وذلك وهو آيب لبغداد في سنة 354هـ [5]، وأخيراً فإن

---

(1) البداية والنهاية (257/11، 258).

(2) البداية والنهاية (257/11)..

(3) وفيات الأعيان (122/1).

(4) البيت للمتنبي في ديوانه (92/2، 93)، لكن بلفظ والسيف والرمح عوضاً عن الطعن والضرب ففيه روايتان وروى الواحدي والحرب والضرب على الديوان، انظر شرح الشيخ ناصيف اليازجي، من قصيدة بعنوان الخيل والليل والبيداء تعرفني ومطلعها:

واحرَّ قلبـــــاه ممن قلبه شَبِم ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

مالي أكتم حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولة الأممُ

- انظر ديوان المتنبي (ص332) وانظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب شرح الشيخ ناصيف اليازجي(92/2-93) -.

(5) انظر البداية والنهاية (256/11-257)

المتنبي معجباً بنفسه كثير الهجو التي فُقِتَ لذلك[1] وهذا الإعجاب دفعه إلى ادعاء النبوة أولاً، ثم تاب، ثم دفعه افتخاره بنفسه أخيراً، إلى أن قدم نفسه للقتل لبيت قاله يتعالى فيه بنفسه على كل صعيد وهو متأكد من أن مقتول.

استشهد الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: (حتى إذا أتوا على وادي النمل) – الآية 18 من سورة النمل– بقول أبي الطيب المتنبي:

ولشد ما قربت عليك الأنجم[2][3]

5-أبو فراس الحمداني:

هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، وهو ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان[4].

وكان شاعراً مفلقاً ورأساً في الفروسية، والجود، وبراعة الأدب، قاتل الروم وأسروه جريحاً، فبقي بقسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة منهم بأموال، وأعطاه أموالاً جزيلة وخيلاً ومماليك، وكانت له بعد ثم تملك حمص[5].

ولأبي فراس شعر رائق ومعان حسنة[6] وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومع روا ء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك[7].

---

(1) تهذيب سير أعلام النبلاء (2/168–3362).

(2) البيت تمامه:

فلشد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشد ما قربت عليك الأنجم

هذا البيت من قصيدة يهجو بها إسحاق بن الأعور وكان محافظاً على طرابلس ويمدح بها أبا العشائر ومما قال فيها:

والهم يخترم الجسيم نحـــافة ويشيب ناصية الصبي ويهـــرُم

ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

– انظر ديوان المتنبي (ص572).

(3) الكشاف (141/3)

(4) انظر وفيات الأعيان(58/2).

(5) تهذيب سير أعلام النبلاء (3359/168/2).

(6) انظر البداية والنهاية (278/11).

(7)وفيات الأعيان مما نقل عن الثعالبي (59/2).

وله شعر في أسره يدل على قوة شكيمته وصبره وعذوبة منطقه فقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا لو تعلمين بحال يِ
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى أيا ولا خطرت منك الهموم ببالِ
جارتنا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعال يِ
تعالَيْ تَرَ يْ روحاً لدي ض عيقت تردد في جسم يعذب بال يِ
أيضحك مأسور وتبكي طليقه ويسكت م حز ون ويندب سالِ
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غال [1]

إن أبا فراس الهمداني كان يجمع بين كلمة الشاعر في أقصى مراتبها الأدبية وبين العمل في أقصى سموله وهو الجهاد في سبيل الله تعالى، هذه ميزة عالية له.

قال الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمو ن وأنهم يقول مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا...)[2] لم يكن أبو فراس يقول ولا يعمل بل كان من أولئك القليل من الشعراء الذين جمعوا بين سموا الكلمة وسمو العمل- رحمه الله تعالى-، فأمضى حياته شعراً وجهاداً، فجمع بين عز الكلمة وعز العمل، فكان كالصحابي الجليل الشاعر عبد الله بن رواحة الأنصاري والشاعر الكاتب المجاهد أسامة بن المنقذ الشيباني الشيْزَري وآخرين من الشعراء الذين انتصروا لله سبحانه وتعالى. فلما عزم سيف الدولة على غزو الروم واستخلاف أبي فراس على الشام، عز على أبي فراس أن يترك الجهاد إلى الإمارة، ففضل الجهاد ضد الروم وصحب سيف الدولة به فقال مخاطباً سيف الدولة

قال المسير فهز الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامة الخذمُ
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له لو لا فراقُك لم يوجد له ألمُ
لا تشغلني بأمر الشام أحرسه إن الشآم على من حله حرم
فإن للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهل ه قمم

(1) الأبيات في ديوانه (ص126) وفي وفيات الأعيان (63/2).
(2) الآية 224-227 من سورة الشعراء.

لا يحرمنّي سيف الدين صُحبتَهُ فمي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره لكن سألتُ، ومن عاداته نَعَم [1]

قُتل أبو فراس الحمدني من قبل موالى أسرته عام357هـ، وفي ديوانه لما حضرته الوفاة أنشد مخاطباً ابنته:

أبنيتي لا تحزني كل الأنام إلى ذهابِ
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجابَ
قولي إذا ناديتني وعيي ت عن رد الجوابِ
زي ن الشباب أبو فرا سٍ لم يُم تّ ع بالشبابِ [2]

لم أرَ من يشير إلى أن أبي فراس الحمداني كتب كتباً في الأدب رواها عمّن يحتج له بل يذكر له ديوانه المشهور[3]. فقط

استشهد الزمخشري عند تفسير قوله تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله)- الآية(61) من سورة النساء- بشعر أبي فراس بقوله وفي شعر الحمداني:

تعالي أقاسمك الهموم تعالي[4][5]

---

(1) الأبيات في ديوانه (ص154) ووفيات الأعيان (63/2).

(2)الأبيات في ديوانه (ص36) ووفيات الأعيان(60/2).

(3) تهذيب سيبر أعلام النبلاء (168/2).

(4)مر معنا هذا في أبيات له وهي موجودة في ديوانه(ص126) وهذا الشطر الثاني من البيت والبيت كاملاً: أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
و انظر وفيات الأعيان(63/2).

(5) الكشاف (536/1).

نتائج البحث:

لقد احتج الصحابة والتابعون بالشعر العربي بالشعر العربي القديم في تفسير كتاب الله تعالى لأن القرآن نزل على لغتهم.

إن الزمخشري قد اعتمد في تفسيره بعض الأحيان على الطبقة الرابعة وهم الشعراء المولدون(المحدثون)، علماً أن بيئتهم تأثرت بالعجمة فلا يُعد شعرهم حجة في تفسير كتاب الله تعالى، فلا يحتج بالشعر العربي فيما بعد(150)هـ.

إن علة دخول العجمة على بيئة شعراء الطبقة الرابعة هي في الاندماج التناسلي والبيئي والثقافي والأخوي الإسلامي بين العرب والعجم في ظل الخلافة العباسية بُعَيْد تأسيسها.

إن تأثر بيئة الطبقة الرابعة بالعجمة وسداً للذرائع وموافقة للإجماع وما يقتضيه الورع والتقوى كل ذلك يتطلب ترك الاحتجاج بالطبقة الرابعة من الشعراء المولدين في تفسير كتاب الله تعالى في اللغة والنحو والصرف.

لقد احتج الإمام الزمخشري بشعر أبي نواس وأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي وأبي فراس الحمداني من الطبقة الرابعة، وذلك في بعض ثوابت العربية في اللغة أو النحو أو الصرف وكان عليه ألا يخالف الإجماع في زمانه في ذلك.

والحمد لله رب العالمين،،،

المراجع والمصادر

1 -الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911هـ- ط دار المعرفة- بيروت -دت-.

2 -أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي- ط دار الفكر المعاصر- بيروت- ودار الفكر- دمشق-1406هـ-1986م-.

3 -الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني المتوفى سنة 356هـ - ط دار الفكر- بيروت- دت-.

4 -الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911هـ- ط حيدر آبادالدكن بالهند-1359هـ-.

5 -أمالي أبي علي القالي ونوادره لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي المتوفى سنة356هـ- ط دار الكتب العلمية- بيروت1416هـ-1996م-.

6 -إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة328هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق-1971م-.

7 -البداية والنهاية للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774هـ - ط مكتبة المعارف- بيروت-1408هـ -1988م-.

8 -تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة1205هـ، حققه علي شيري- ط دار الفكر- بيروت-1994م -1414هـ-.

9 - تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463هـ- ط مكتبة الخانجي- القاهرة- ودار الفكر- بيروت-دت-.

10 -تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم- ط دار المعارف- دت

11 -التاريخ الكبير لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري المتوفى سنة 256هـ-ط دار الفكر- بيروت- دت-.

12 -تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي لأبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفى سنة 1353هـ- ط دار الكتب العلمية -بيروت- 1410هـ - 1990م-.
13 -التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة 816هـ- ط مكتبة الحماديّة-باكستان- كراتشي- 1403هـ-1983م-.
14 -تفسير ابن أبي حاتم وهو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة 327هـ- ط مكتبة الدار بالمدينة المنورة- ودار طيبة بالرياض ودار ابن القيم بالدمام-1408هـ-.
15 -تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة 774هـ- ط دار المعرفة- بيروت-1406هـ-1986م-.
16 -تهذيب سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ، حققه شعيب الأرنؤوط هذبه أحمد فايز الحمصي- ط 2 مؤسسة الرسالة- بيروت-1413هـ-1992م-.
17 -جامع الأصول في أحاديث الرسول لمجد الدين أبي السعادات المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة 606هـ، حقق نصوصه وعلق على أحاديثه بعد تخريجها عبد القادر الأرنؤوط- ط دار الفكر- بيروت-1403هـ-1983م-.
18 -جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ- ط دار الفكر- بيروت- 1415هـ-1995م-.
19 -الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة 671هـ- ط دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1405هـ-1985م-.
20 -حاشية علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني المتوفى سنة 816هـ- ط مصطفى البابي الحلبي- القاهرة-1392هـ-1972م-.
21 -خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي المتوفى سنة 1093هـ، حققه عبد السلام هارون- ط الهيئة المصرية العامة للكتاب-1979م-
22 -الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ- حققه محمد علي النجار- ط المكتبة العلمية- بيروت-1371هـ-1952م-.

23 -ديوان أبي تمام، شرحه الخطيب يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة 502هـ ، حققه محمد عبده عزام ط دار المعارف- دت-.
24 -ديوان ذي الرمة،شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة 502هـ ، حققه مجيد طراد- ط دار الكتاب العربي بيروت-1314هـ-1993م-.
25 -ديوان عبيد بن الأبرص، حققه الدكتور عمر فاروق الطباع- ط دار القلم بيروت- دت-.
26 -ديوان أبي العتاهية- تحقيق شكري فيصل- ط مطبعة جامعة دمشق- 1965م-، وط دار الكتب العلمية- بيروت 1403هـ- 1985م-.
27 -ديوان عنترة بن شداد، حققه بدر الدين حاضري ومهدي حماد- ط دار الشرق العربي- بيروت-1992م- 1412هـ-.
28 -ديوان أبي فراس الحمداني شرحه وقدم له عباس عبد الستار- ط دار الكتب العلمية- بيروت-1404هـ- 1983م-.
29 -ديوان المتنبي- ط دار صادر بيروت1414هـ-1994م-.
30 -ديوان أبي نواس شرحه وحققه أحمد عبد المجيد الغزالي- ط دار الكتاب العربي- بيروت- دت-.
31 -روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للعلامة شهاب الدين محمود شكري الآلوسي البغدادي- المتوفى1270هـ- ط4 دار إحياء التراث العربي-بيروت - 1405هـ-1985م-.
32 -روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لعبيد الله بن محمد بن أحمد المعروف بابن قدامة المقدسي المتوفى سنة684هـ، شرحه نزهة الخاطر لابن بدران المتوفى سنة1346هـ- ط المطبعة السلفية1342هـ-.
33 -سنن ابن ماجه القزويني المتوفى سنة275هـ، حقق نصوصه ورقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي-ط دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- دت-.
34 -سنن النسائي المتوفى سنة303هـ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ- ط دار الجيل بيروت- ودار الحديث - القاهرة1407هـ-1987م-.

35 -شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري المتوفى سنة476هـ، حققه الدكتور علي المفضل حمُّودان- ط دار الفكر المعاصر - بيروت- ودار الفكر- دمشق 1413هـ- 1992م-.
36 -شرح ديوان أبي تمام،لمحمد محيي الدين عبد الحميد- ط مكتبة صبيح- القاهرة- 1387هـ-1967م-.
37 -الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276هـ- طبع في مدينة ليدن بمطبقة بريل1902م-.
38 -الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفى سنة 393هـ- حققه أحمد عبد الغفور عطار- ط3 دار العلم للملايين- بيروت- 1404هـ- 1984م-.
39 -العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب شرحه الشيخ ناصيف اليازجي تقديم د/ ياسين الأيوبي- ط دار الهلال1996م-.
40 -العصر العباسي الأول للدكتور شوقيضيف- ط دار المعارف- دت-.
41 -غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بنمحمد المعروف بابن الجزري المتوفى سنة833هـ عني بنشره ج. برجستراسر- ط دار الكتب العلمية- بيروت-1402هـ-1982م-.
42 -فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة1250هـ- ط عالم الكتب- بيروت- دت.
43 -الفهرست لابن النديم المتوفى سنة385هـ- ط المكتب التجارية الكبرى بمصردت-
44 -في أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغاني- رحمه الله تعالى- ط دار الفكر- دت-
45 -الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد المتوفى سنة285هـ، حققه الدكتور محمد أحمد الدالي- ط2- مؤسسة الرسالة- بيروت-1413هـ-1993م-.
46 -الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة538هـ- ط مصطفى البابي الحلبي بمصر-1392هـ- 1972م-.

47 -لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المتوفى سنة711هـ- ط دار صادر- بيروت-1388هـ-1968م-.
48 -المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة 392هـ- ط2 دار الكتاب العربي- بيروت-1403هـ- 1983م-.
49 -المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران المتوفى سنة1346هـ- ط إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
50 -مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول لأحمد ملا خسرو المتوفى سنة885هـ- ط مطبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي- 1302هـ-.
51 -المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911هـ، علق عليه محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي – ط المكتبة العصرية – صيدا – بيروت-1408هـ-1987م-.
52 -معجم الأدباء لياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ-ط دار الفكر- بيروت - 1400هـ-1980م-.
53 -مقدمة ابن خلدون وهو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفى سنة808هـ- ط القاهرة-1327هـ-، ط دار الشرق العربي- بيروت- حلب- 1425هـ-2004م-
54 -الموافقات في أصول الفقه لإبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفي سنة790هـ - ط دار ابن عفان- السعودية – الخبر-1417هـ 1997م- و ط المكتبة التجارية – مصر – د ت-.
55 -وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة861هـ، حققه الدكتور إحسان عباس ط – دار صادر – بيروت – دت-.